الافتتاحية

قداسة القرآن الكريم تتلألأ في نفوس المسلمين

خورشيد عالم جميل أحمد المدني

إنّ القرآن الكريم كلام الله العزيز، تكلّم به حقيقةً، منه بدأ وإليه يعود، وأخبر سبحانه عنه بأنّه شفاءٌ تامٌ من أمراض القلوب والأبدان، ودواءٌ ناجعٌ من داء الجهل والريب، ورحمةٌشاملةٌ لكافة البشرية، وهدايةٌعامة لجميع الإنسانية، ومنبع العلم واليقين للأصفياء، ومخزن الموعظة الحسنة والحكمة الفريدة، وديوان العبر بالأمثلة والقصص، وتجارةٌ رابحةٌ لقارئه في المعاش والمعاد، وفيه صلاح الأمم، وهداية الشعوب، واستقامة الحياة على ما يرضاه رب العالمين، ولم ينزل الله مثله من السماء شيئًا أنفع وأعظم منه كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]. وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وإنّ من المتكلّمين من جرّب اعترف بلسانه أنّ القرآن كتاب هدايةٍ وإرشادٍ، وشفاء من الحيرة والاضطراب قائلًا: "لقد تأمّلت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفى عليلًا، ولا تروى غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن". وهذا هو الذي نطق به القرآن.

وذكر ابن القيم – رحمه الله– أنّ القرآن متضمنٌ لأدوية القلب، وعلاجه من جميع أمراضه، وقال: إنّ جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات. والقرآن شفاءٌ للنوعين. ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبيّن الحقّ من الباطل، فتزول أمراض

الشبه المفسدة للعلم والتصوّر والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وليس تحت أديم السماء كتابٌ متضمنٌ للبراهين والآيات على المطالب العالية: من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد والنبوّات، وردّ النحل الباطلة والآراء الفاسدة، مثل القرآن. فإنّه كفيلٌ بذلك كله، متضمنٌ له على أتمّ الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول وأفصحها بيانا. فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، ولكن ذلك موقوفٌ على فهمه ومعرفة المراد منه. فمن رزقه الله تعالى ذلك أبصر الحق والباطل عيانًا بقلبه، كما يرى الليل والنهار. (إغاثة اللهفان: ١/ ٤٤).

كما لا يخفى على فضيلتكم أنّ إهانة كلام ربّ العالمين قد حصل من أحد المبغوضين الذي أضاف اسمه إلى قائمة الملعونين بحرق نسخة من القرآن الكريم في السويد، ثمّ حدث هذا العمل الشنيع مرةً أخرى في السويد، وإنه يواجه اللعن والطعن من جميع أنحاء العالم بسبب فعله القبيح، وعمله المشين، ويستنكر هذا الفعل الإجرامي، ويدين المسلمون بشدة ما ارتكب هذا المجرم المفسد من إساءة القرآن وهجمةٍ حيوانيةٍ على المقدّسات الدينية وكذلك ما حصل حرق المصحف الشريف في الدنمارك أيضًا.

ويطالب المسلمون من مجلس الحقوق الإنسانية بأن يتبنّى قرارًا، ونصًّا دستوريًّا على إدانةالأعمال القبيحة الدينيّة، والتلفظ بالكلمات النابية في أيّ دينٍ من الأديان، والعمل بالأفعال المشتعلة لنار العداوة والبغضاء بين المواطنين وغيرهم من المعتنقين لمذهبٍ من المذاهب ما يخلل الأمن والأمان في ذلك البلد أو الإقليم؛ مثل الإساءة إلى الرسول ﷺ، وحرق المصحف الشريف في أيّ دولةٍ من دول العالم، ويطالبون بتلك الحكومة أو الدولة التي وقعت فيها هذه الجريمة إلى محاسبته وتعزيره وفضحه، ومعاقبته عقوبةً شديدةًلكي لا يتجرّأ أحدٌ على فعل مثل هذه الجرائم والإتيان بها، ولا يمدّ يده في حياته إلى ارتكاب مثل هذه الجنايات واقترافها مرةً أخرى.

وبهذا يتّضح أنّ عظمة القرآن وقداسته مسلّمة ومعترفٌ بها عالميًا لدى المسلمين، ولا يسكتون عند الإساءة والتدنيس إليه بحالٍ، وقد وصف الله نفسه عظمة القرآن وقدره في كثيرٍ من مواضع القرآن الكريم، ولا يضرّ أن يثني على القرآن أحدٌ ويصف عظمته وقداسته أو لا؟ فالقرآن لا يحتاج إلى مدح أحدٍ بعد تمجيد الله عزّ وجلّ وتوضيح قداسته له.

وهناك عددٌ من المستشرقين الذين أقنعهم ضميرهم بعظمة القرآن، واضطرّوا إلى اعتباره والاعتراف به، ويقرّ العالم بأجمعه أنّ القرآن روح الحكومات والسياسيات الشرعية، وأساس المبادئ الدينية، وكذلك أهمّ القوائم ودليل العقوبات الجنائية الصالحة لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وموضّح الحضارات والثقافات المتنوّعة، ونظام الحياة بأكمله الذي ترتبط به حياة البشرية.

فإنّ القرآن الكريم دستورٌ دينيٌّ يشمل القضايا الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والمدنية، ويحتوي على حقوق الفرد والمجتمع، ورفاهية الإنسانية، وجميع أحكام الدين والدنيا، ومن يستهين بالقرآن ولا يحترمه ويدنّسه سيعاقب حتميًّا في الدنيا والآخرة، ولكن مسؤوليتنا أن نتلوه ونتدبّر آياته، ونتأمل فيها، ونتفقه على معانيها كما فهم السلف الصالح وتعاملوا معها، ونفهم رسالته العظيمة، ونكثر من تلاوته، ونجلو الخواطر بأسراره وحكمه، ونتبع ما فيه من الأوامر والنواهي، ولا نخرج عن تشريعاته، لأنّ العبد إذا وفّق لتدبّر آيات الله، والتفكّر والغوص في معانيها ودلالاتها، فاز بالخير الوفير، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة.

يقول ابن القيم– رحمه الله–: " فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبّر القرآن، وإطالة التأمّل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنّها تطلع العبد على معالم الخير والشرّ بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل

أهلهما، وتُلّ في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبّت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيّد بنيانه وتوطّد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنّة والنّار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصّره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرّفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبّه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرّفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرّفه طريق أهل الجنّة وأهل النّار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه.وبالجملة تعرفه الربّ المدعوَّ إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه. (مدارج السالكين: ١/ ٤٥٠).

وإنّ تأثير القرآن على النفوس البشريّة كالسحر، ولتقدير هذا الأثر القرآني اسأل العرب الذين كانت لغتهم الأم هي العربية، وهم كانوا يعتقدون أنّ بلاغتهم وفهمهم للكلام العربي على قمّةٍ في العالم، بل اعتبروا العالم كله عجمًا وجاهلًا مقارنةً بهم مع ذلك عندما سمعوا القرآن انجذبت قلوبهم إليه كأنّ أحدًا قد ألقى إليهم السحر، وهذا هو سبب قولهم دائمًا لأهلهم: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

وكذلك تقرأ العديد من القصص والوقائع في كتب السيرة والتراجم أنّ سبب اعتناق كثير من الصحابة للإسلام هو استماعهم القرآن، والوقوف على بلاغته وفصاحته، والتفقّه لمعانيه، وترابطه في الكلام، وتراكيبه اللغوية، وحلاوة أسلوبه حتى الشخص العجمي عندما يسمع القاري حسن الصوت يحبّه، ويميل إليه، ويتأثّر به.

أخي الحبيب: تأمّل في هذه المعاني البليغة، والأثر الكبير للقرآن المجيد بأنّ من أراد قتل رسول الله ﷺ، وتصدّى له؛تغيّر أحوالهم ودنياهم، وصاروا حماة ومحافظين له، ومن كان

يريد إيذاؤه غدًا صار اليوم سورًا قويًّاله، ومدافعًا عنه، وتأثّر به شديد التأثّر، سواء كانوا شعراء، أو خطباء، أو أدباء من الجزيرة العربية؛فالكلّ انحنوا أمام القرآن وخضعوا لتأثيره ووقعوا في حبّه وصداقته، ومن قوة كلامه، وروعة بيانه استخفوا كلماتهم، واحتقروا أدبهم وبلاغتهم، فأسلموا، وتركوا دين آبائهم وأجدادهم السابقين.

ولكن من المؤسف كثيرًا زادت الأنشطة الشريرة المتطرفة من أعداء الإسلام نحو الإسلام والقرآن في العصر الحالي، والحكومة السويدية والدنماركية دعتا إلى عذاب الله ومقته من خلال السماح بحرية الرأي للذين يقومون بتدنيس كلام ربّ العالمين، وسيتعيّن عليهم تحمل العواقب الوخيمة، وإنّه قد جرح هؤلاء المبغوضون المشاعر الدينية لجميع المسلمين في أنحاء العالم، واضطرّهم إلى التعبير عن غضبهم، وكسر خواطرهم من هذا العمل الإجرامي الشنيع بحرق نسخة المصحف الشريف.

ففي مثل هذه الحالات القاسية والظروف الصعبة يجب على حكومتي السويد والدنمارك احترام العالم الإسلامي، واتخاذ إجراءات وتدابير فورية لمنع مثل هذه الحوادث والوقائع وإلا ستحدث اضطرابات في العالم، وانتشار الفوضى ودمار الأمن والسلام والنظام، ونزول عذاب الله علمًا بأنّ المسلمين لن يسامحوا أحدًا أن يدنس القرآن الكريم، ويحرق نسخته.

وممّا لا شكّ فيه أنّ السلام والأمن والتسامح الديني أساس الإسلام، والإسلام يعني الأمن، وهو دين عالمي وتعاليمه للبشرية جمعاء، وهولا يخاطب فئةً معينةً أو عرقًا خاصًا، ولونًا معينًا فحسب، بل يخاطب جميع البشرالموجود على وجه الأرض، فكيف يمكن للمرء أن يجد السلام والأمن أكثر من دين الإسلام الذي لا يميّز بين العرق واللون، ولا يخاطب طائفة خاصة بل تعاليمه عامة للجميع.

والمسلم يعني أنك تتعامل بالعدل والإنصاف مع أي شخص يختلف منك في

الدين، أو الحضارة، أو الثقافة، أو اللغة، أو اللون، أو العرق، سواء أكان صديقًا أم عدوًا، ولا تظلم أحدًا بسبب دينه، ومعتقده، وانتماؤه إلى دينٍ ومذهبٍ من ديانات العالم ومذاهبه، ولا تعامل معه بسوء المعاملة أو القسوة؛ لأنّ الإسلام يتميّز بالسلام والأمن والتسامح الديني، فاتبع تعليماته في حياتك، ولا تخرج منها.

وإنّما قام المتطرّفون المعادون للإسلام بتدنيس القرآن في السويد مرةً أخرى خلال ستة أشهر، وفعلوا هذا العمل البغيض الذي يتعارض تمامًا مع القيم الإنسانية السامية للتسامح الديني والاحترام المتبادل بين الأديان والمذاهب، هؤلاء أهانوا كتابًا مقدّسًا تحت ستار حرية الرأي والتعبير، وجرحوا مشاعر المسلمين وقلوبهم، وبصرف النظر عن منظمة الدول الإسلامية فقد أدان الاتحاد الأوروبي بشدة هذا العمل الاستفزازي، والفعل المشين الإرهابي القائم على إيذاء قلوب أكثر من مليارمسلم، بل كلّ شخصٍ مثقّفٍ في العالم.

ولا شكّ أنّ القرآن كتاب الهداية والإرشاد، وكتاب سماوي أعطاه الله تعالى لخاتم نبي الله محمد رسول الله وأنزله عليه لهداية البشر أجمعين، وإن العالم اليوم يتقدّم نحو الأمام، وتحدث الاكتشافات العلمية الحديثة في الكون وغيرها من النظريات التفسيرية بالقرآن، والانكشاف العلمي يقبله العالم ويستفيد منه، فإذا يقبل الناس أشياء كثيرة من هذا القرآن ويستفيدون منه، فلماذا يهينونه؟ ولماذا لا يحترمونه؟ أحياناً يُداس القرآن بالأقدام، وأحياناً يُلقى في النار، ويُحرق نسخته أمام الناس مع أن القرآن يشفي قارئه، ويفيد تاليه، ويهديه إلى الصراط المستقيم.

وكما لا يخفى على كل ذي عقل فضل القرآن المجيد، وأنه يخزن للعبد خير الدنيا والآخرة، ويجعله ذا شخصية حسنة مع أنّه هو موضوع الإهانة، وعرضة التدنيس، وليس هذا شيء جديد اليوم؛ بل أهانه أعداء الإسلام قبل ذلك أيضا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره، قُتل حفاظ القرآن، فدعا عليهم الرسول صلى الله عليه

وسلم، وتعرّض القرآن وأهله بالسبّ والإهانة مرات عديدة، واستمرّ الأمر على هذا النحو.

علما بأنّ هناك العديد من الدول التي يتمّ فيها التمييز على أسسٍ دينيةٍ وعرقيةٍمثل فرنسا، الدنمارك، السويد، كندا، وغالبًا تكون هناك حالات عنفة متضرّرة لطبقات الأقلية من قبل طبقات الأغلبية، وتجري العمليات البغيضة لوجع المسلمين ومضايقتهم حول المشاعر الدينية والطقوس الإسلامية.

وإنّها مشكلة خطيرةومحزنة في الوقت الحاضر أنّ القيم الإنسانيّة تنحط وتزول بسرعةٍ، وتتزايد الصراعات الدينيّة، والثقافيّة، والطبقيّةعلى الرغم من إنشاء العديد من المراكز، والمؤسسات التعليمية والجامعات، وتطوّر التطوّرات الحديثة في جميع الميادين والمجالات، وتكثر الأنانية، والشحناء، والحقد، والحسد، والمعاداة الإنسانية في العالم بالاستمرار، وتحدث وقائع التعذيب المتنوّعة، وإيذاء مشاعر الآخرين يومًا بعد يومٍ، ويتّجه الناس نحو هذه القبائح والأمراض تاركين وراءهم الإنسانيّة والأخوّة والمحبّة.

والسؤال هو: ماذا يستفيد من يحرق القرآن أو يهين نبي الإسلام؟ هل يمكنهم بالتالي محو الإسلام من العالم، أو جعل المسلمين ينحرفون عن دينهم؟ مستحيل. بل العكس من ذلك ترى أن علاقة المسلمين بالقرآن أصبحت أقوى، وتقام المسابقات العديدة لحفظ القرآن الكريم في جميع أنحاء العالم، ويتمّ الإعلان عنها كما نرى على مواقع التواصل الاجتماعي، ويشارك فيها الطلاب بجدٍّ ونشاط، ويتزايد اهتمامهم بكلام الله، فلا يمكن قمع حقيقة الإسلام وصلاحه بمثل هذا العمل الشنيع، ولا يمكن محو المسلمين من العالم.

لاشك أن هناك أعمالا عنفاوغلظة الكلام صدرت من قبل بعض الناس كردّ فعل على حرق القرآن علانيةً، وتمزيق صفحاته، لكن عدد هؤلاء قليل جدا، وإلا فإنّ كل المسلمين يضعون الحجارة على صدورهم، ويتصرفون بضبط النفس والصبر، ولكن

السؤال متى سيتوقف مسلسل الإهانات هذا؟ متى يتوقف تدنيس القرآن والحديث؟ متى ستتّخذ الأمم المتحدة أيّ خطواتٍ فعالةٍ وقراراتٍ ملموسةٍ في هذا الصدد؟ ومتى سيتمكن المجتمع الدولي من تقديم حلّ شاملٍ في هذا الصدد؟ وإنّا بحاجة الآن هي سنّ قوانين على المستوى العالمي تحظر وتمنع الإساءة للأديان، وإلزام جميع الدول والأمم التقيّد بها، والمحافظة عليها.

وكذلك يجب محاكمة أولئك الذين ثبتت إدانتهم بإهانة كتابٍ دينيّ، أو شخصيةٍ محترمةٍ، أو مكانٍ دينيّ في أقرب وقتٍ ممكنٍ، ويجب على حكومات البلد الذي وقعت فيه هذه الحوادث اتخاذ إجراءات فورية ومعاقبة الجناة وفقًا للقانون لاستقرار الأمن والسلام، وعدم إيذاء الآخرين بالفعل الخبيث.

وإذا كانت حوادث الاستخفاف الديني تحدث على مستوى جماعي في دولة ما، فيجب على المجتمع الدولي التدخّل والضغط على الحكومة هناك، واتّخاذ ما يلزم من إجراءات فعالة لذلك، على سبيل المثال الدنمارك، فإنّ الحكومة ليست جادة في إيقاف هذه السلسلة، وإلا فيمكن إيقافها إلى الأبد من خلال فرض عقوبات رادعة على الناس. وحتى في السويد فرنسا، فإن العناصر التي تكره الإسلام تقوم بإهانة الإسلام من حين لآخر والحكومة عاجزة عن السيطرة عليهم، فالتراخي في هذا الصدد يمكن أن يؤدي إلى تفاقم المشكلة، وتثبت خطورته على البشرية جمعاء.

وبالنظر إلى الوقت الراهن لا يبدو أنّ أيّ حلّ شاملٍ سيخرج ضد الإساءة إلى الدين، لأن الحكام هم الذين يكرهون الإسلام، ولا يريدون أن يروا الإسلام والمسلمين على وجه الأرض، ولا يعتبرون هذا الوضع خطراً عليهم، واذا احتج المسلمون أسكت صوتهم بالسلطة، والحكومة بنفسها توجه إليهم الاتهامات والافتراءات، فيتعرضون للضرب، ويوضعون في السجون على الرغم من أن المسلمين لا يهينون الكتب الدينية

لأيّ دينٍ، ولا يتكلّمون بأيّ كلمةٍ خاطئةٍ عن كتابه، وشخصيته، وموقفه، وأنهم في هذا الأمر يتبعون هذه الآية القرآنية ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

وإذا نظرنا من هذا المنطلق، فإنّ المسلمين يقدّمون دليلاً على اتساع أفقهم، فهم يرفعون أصواتهم أحياناً احتجاجاً، لكنهم لا يحرقون الكتب الدينية لأحدٍ، ولا يدنّسون الأماكن الدينيّة لغيرهم، ولا يهينون الشخصيّات الطائفية والمذهبية، ونتمنّى أن تتبنى الدول الغربية أيضًا هذا السلوك، وتقدّم بالفعل دليلاً على تنوير عقولهم تجاه المسلمين وكتابهم المقدّس، وتعلن تشريعًا يحظر تدنيس القرآن الكريم، وحظر المعاملة غير اللائقة للأشياء ذات الأهمية الدينيةخاصة في الأماكن العامة، و إنّ من ينتهك حرمات الكتب المقدسة سيواجه غرامةً ماليةً وسِجنًا لسنوات طويلة.

أخيرًا: أدعو الله أن يوفّقنا لحفظ القرآن وفهمه، والتدبّر في آياته ومعانيه، ونشر تعاليمه، والعمل على هداياته في الأخلاق والمعاملات، إنّه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

***

طريق النجاة

السلفية حقيقتها وسماتها

معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للافتاء وعضو هيئة كبار العلماء

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإنّ النبي ﷺ أخبر أنه سيحصل افتراق في هذه الأمة كما حصل في الأمم السابقة، وأوصانا عند ذلك أن نتمسك بما كان عليه ﷺ هو وأصحابه، قال ﷺ: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، افترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة - قيل من هي يا رسول الله ؟ قال: "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"، قال عليه الصلاة والسلام: "فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة "وفي رواية: "وكل ضلالة في النار" (حديث صحيح. مسند أحمد:٧١٤٤، سنن أبي داود: ٤٦٠٧، سنن الترمذي: ٢٦٧٦)، هكذا أوصانا رسول الله ﷺ أن نلزم ما كان عليه هو وأصحابه عند حصول الاختلاف والافتراق، لأنه لابدّ أن يقع وقد وقع كما أخبر به ﷺ، فطريق النجاة هو التزام ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، هذه الفرقة هي الناجية من النار، وسائر الفرق كلها في النار، ولذلك تسمّى الفرقة الناجية أهل السنة الجماعة هذه هي الفرقة